

تجليات الألم في ديوان "أرجوحة الوجد" لهبة يونس من منظار النقد الجينثوي

أ.م.د. رسول بلاوي
الباحثة: زينب دريانورد
جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران

المخلص

تتشكّل كلمة الجينثوية من لفظتي «الجنس» و«الأنثوية»؛ وإتّها مجموعة من الأحاسيس الأنثوية تصدر من قبل المرأة / الشاعرة. الجينثوية بدأت مشوارها الأدبي من أوائل القرن الحادي والعشرين وإستفادت الأنثى من هذه الظاهرة للتعبير عن أحاسيسها ولاسيما تلك الأحاسيس المحاطة بالآلام لشدة تأثير الألم في البوح والتعبير فمازالت حتى الآن تحاول أن تثبت وجودها في ساحة الأدب وتظهر بأنّها قادرة على منافسة الأدب الذكوري. إنّ هذا النوع من الأدب قد شهد تطوراً مستمراً منقطع النظير بعدما كانت الثقافة القديمة تسيطر على شتى جوانب حياة المرأة وقد جُعِلت في هامش منعزل عن الأدباء؛ أمّا خلال الفترة الأخيرة ظهر هذا الإتجاه في الساحة الأدبية إثر ظهور الآراء والجدالات الهائلة، الموافقة والمغايرة التي كانت سبباً للفت أنظار الأدباء والنقاد في العالم لهذا النوع من الأدب.

وقد تكون الشاعرة هبة يونس من أبرز الشواعر التي تتجلّى في أشعارها الآلام والدلالات الأنثوية معاً. وللألم حضوراً مكثفاً في ديوانها "أرجوحة الوجد" ذلك الألم الذي يركز على الأساليب الأنثوية. وممّا لاشكّ فيه أنّ الشاعرة تتأرجح في تيار من الآلام بصور أنثوية لتطفئ أوجاعها من خلال البوح عن مكوناتها في ديوانها. في هذا البحث وفقاً للمنهج الوصفي - التحليلي، نهدف إلى دراسة الألم والميزات الأنثوية من منظار النقد الجينثوي والبحث ينقسم إلى أربعة محاور منها: سيميائية العنوان، الدلالة الزمكانية - بيئة الأنثى، دلالات الألوان الحزينة، دلالات البكاء الأنثوي.

الكلمات المفتاحية: النقد الجينثوي، الألم، الأنثوية، هبة يونس، ديوان "أرجوحة الوجد".

The manifestations of pain in the office of the "swing of the pain" for heba Younes from the perspective of genetic criticism

Dr. Rswl Balawi
Researcher: Zainab Drianward
Persian Gulf University, Bushehr, Iran

Abstract

The word "sex" and "feminine" are formed by the word "genetics"; it is a group of feminine sensations that are issued by the woman / poet. Genetics began its literary journey from the beginning of the twenty-first century. The female benefited from this phenomenon to express her feelings, especially those pain-filled senses of the intensity of the impact of pain in expression and expression, so far she is trying to prove her presence in literature and show that she is able to compete with masculine literature. This type of literature has witnessed an uninterrupted development since the old culture dominated the various aspects of women's life and has been made in a secluded margin of literature. Recently, however, this trend has emerged in the literary arena following the emergence of great and varied opinions and controversies, To draw the attention of writers and critics in the world to this type of literature.

The poet Heba Younis may be one of the most prominent poets, whose poetry is characterized by both female pain and connotations. Pain has an intense presence in her "pain swing", a pain that is based on female methods. There is no doubt that the poet languishes in a stream of pain with female images to extinguish her pain by revealing her documents in her office. In this research according to the descriptive-analytical approach, we aim to study the pain and feminine characteristics of the genocidal criticism. The research is divided into four axes: Title semismism, zodiac signification, female environment, sad color connotations, feminine crying.

Keywords: genetic criticism, pain, female, Heba Younis, "swing pain."



المقدمة

إنّ الألم يدفع كيان الإنسان ووجدانه للتعبير عن الأحاسيس وقد يكون كالنار المشتعلة لا ينطفئ لهيبها إلا بصرخات من أعماق روح محطّمة وقد يوجد دائماً أشخاص يعبرون عن مشاعرهم الحزينة بأساليب أدبية شعرية ويكون ذلك عند مواجهتهم لإنهيارات عصبية وعندما تتقطّع حبال آمالهم بالحياة فتصبح لهم الدنيا كغيوم مظلمة، وأحياناً تأتي الأنثى وتعبّر عن مشاعرها بطريقتها الخاصة الفطرية التي أظهرتها من بداية الثمانينات حيث قامت بفتح القيود الملقاة على فمها وإيقاظ أقلامها الأدبية والشعرية بمحاولات مستمرة؛ وإنّ لها حق الحرية في التعبير عمّا تشعر به وقد وضعت الأنثى بصمة ذات أثر كبير لا يستهان بها على مدى السنوات الأخيرة وكان لهذه الحركة صدى لامعاً على كافة جوانب حياة الأنثى إلا أن بعض النقاد ادّعى أنّ جنور هذه الحركة الأدبية ترتبط بالشؤون الاجتماعية والسياسية الخاصة بالمرأة.

الكثير من النقاد وضعوا لهذا النوع من الأدب أسماء عديدة ولكننا في هذا البحث نركّز على الإسم الجينثوي لاقتضاء طبيعة البحث. من عوامل ظهور نهضة المرأة العربية للدخول في ساحة الأدب هي تأثرها بالتيارات الغربية الشائعة في العالم وكذلك العوامل السياسية والاجتماعية، والاعتقاد بأنّ المرأة يجب عليها أن تطالب بحقوقها المشروعة كالمساواة بين الرجل والمرأة ومكافحة التقاليد والعقائد الخاطئة من الثقافة الدينية السائدة على كافة البلدان العربية.

لقد قامت الشاعرة هبة يونس بنظليل أشعارها بطابع من الألم والميزات الأنثوية في ديوانها المسمى بـ"أرجوحة الوجد". يشعّ الديوان بميزات ومظاهر أنثوية ترتكز على طبيعة الأنثى وفطرتها الذاتية فهي تأتي بسلاسل وحلقات من الآلام مع هذه الميزات في آنٍ واحدٍ، وإنّنا هنا بصدد تبين الميزات والدلالات المتعلقة بالأشعار الأنثوية الممزوجة بطابع من الآلام في ديوان هبة يونس. لقد حاولنا في هذا البحث من خلال المنهج الوصفي - التحليلي للوصول إلى فهم مُلح عن ثيمات الألم من منظار النقد الجينثوي والكشف عن خفايا القضايا التي تبين إختلاف الأحاسيس في الأدب الأمومي والأدب الأبوي.

أسئلة البحث

إنّنا في هذا البحث نحاول أن نجيب عن الأسئلة التالية:

كيف يمكن للأنثى أن تمارس الكتابة الأدبية بصورة مستقلة بعيدة عن الأدب الذكوري؟ ماهي الأساليب الجينثوية التي إستعملتها هبة يونس للتعبير عن آلامها العميقة؟ كيف تلجأ المرأة للجنس الذكوري في قمة أوجاعها بينما يعتقد البعض أنّ المرأة تسعى لتهميش الأدب الذكوري؟ ماهو التحليل الحاصل من مفردة "الألم" الممزوجة بالميزات الأنثوية التي تنعكس في ديوان الشاعرة بصورة هائلة؟ ماهي العلاقات البارزة بين الألم والأنثى؟

خلفية البحث

تكاثرت البحوث التي تهتمّ بالنقد الجينثوي بذاته وقد عالجت آراء وأفكار نقدية في هذا المجال؛ ومن ضمن



تجليات الألم في ديوان "أرجوحة الوجد" لهبة يونس من منظار النقد الجينثوي

هذه البحوث رسالة ماجستير موسومة بـ"النقد النسوي العربي بين النظرية والتطبيق النص المؤنث لزهرة الجلاصي أنموذجاً" للباحثة الحادة عطاوة، وقد حاولت الباحثة أن تجسّ نبض الأمور التي قامت بدراستها زهرة الجلاصي حول النقد النسوي في كتابها الموسوم بالنص المؤنث وقد جاءت بتعاريف دقيقة للنقد النسوي والمواقف المؤيدة والمعارضة التي تلقّاه النقد النسوي والآراء والنظرات التي بثّتها الناقدة زهرة الجلاصي حول هذا النقد بشكل عام.

ومقال موسوم بـ"دلالة اللون في الشعر النسوي العراقي" في مجلة الأستاذ للباحثة فرح غانم صالح الحميد البيرماني (٢٠١٢م)؛ قد حاولت الباحثة أن تبين مدى إقتراب عالم الألوان من ذات المرأة (الشاعرة) في الشعر النسوي العراقي.

كذلك من جملة البحوث حول النسوية لرفع منزلة النقد الجينثوي تُوجد رسالة ماجستير معنونة بـ"جماليات في الشعر النسوي الجزائري شعر نادية نواصر أنموذجاً". وقد ركّزت هذه الدراسة على الجانب البنيوي من قصائد الشاعرة نادية نواصر وخصائص الصورة في شعرها ولم يقتصر البحث على الميزات الأنثوية القريبة من روح الانثى. وبناءً على المنشورات التي نشرت على مواقع الإنترنت حول نتاج الشاعرة هبة يونس تبين لنا عدم معالجة نتاجها الأدبي، فهذه الدراسة جاءت لتسلط الضوء على ديوان هذه الشاعرة.

حياة الشاعرة

شاعرة وكاتبة مصرية حاصلة على بكالوريوس في علوم الرياضيات والحاسب الآلي من كلية العلوم جامعة الإسكندرية، تجيد ٣ لغات أجنبية بجانب العربية. أحد أعضاء ورشتي الشعر والقصة بأتيليه الإسكندرية منذ عام ١٩٩٦. أحد أعضاء ندوة القصة لإقليم غرب الدلتا الثقافي بعام ٢٠٠١ م و ٢٠٠٢م. من مؤسسي حركة "فيتوم" الأدبية بالإسكندرية، ومن مؤسسي صالون زمرة الثقافي ونادي الجيزويت للكتاب بالإسكندرية. لها ديوان شعر: "أرجوحة الوجد" صدر في ٢٠٠٨م عن دار نشر "أكتب". نُشر لها العديد من القصص والقصائد بالمجلات (١)

النقد الجينثوي/ النسوية

تتشكّل كلمة الجينثوية من لفظتي «الجنس» و«الأنثوية»؛ وتعدّ اللين شوالتر الناقدة الأمريكية أوّل من جاء بإسم «النقد الجينثوي». من أبرز سمات النقد الجينثوي التي أشير إليها في كتاب "دليل الناقد الأدبي" هي: «تحديد وتعريف موضوع المادة الأدبية التي كتبتها المرأة وكيف إتصفت هذه بسمّة الأنثوية: عالم المرأة الداخلي (بيئة البيت مثلاً) وتجارب الحمل والوضع والرضاعة، أو علاقة الأم بإبنتها أو المرأة بالمرأة وينصب الإهتمام هنا على الأمور الشخصية والعاطفية الداخلية وليس على النشاط الخارجي» (٢). الجينثوية «محاولة إرساء صيغة التجربة الأنثوية المتميزة أو "الذاتية الأنثوية" في التفكير والشعور والتقييم وإدراك الذات والعالم الخارجي؛ وأيضاً محاولة تحديد لغة الأنثى ومعالمها أو الأسلوب الأنثوي المتميّز في الكلام المنطوق (الحكي) والمكتوب وبنية الجملة وأنواع العلاقات بين عناصر الخطاب وخصائص الصور المجازية

«النقد النسوي قدّم إنجازات نقدية ضخمة ترتقي إلى مستوى الثورة النقدية التي تستحق من نقادنا ودارسينا النظر والإهتمام، وخاصة في تحليل هذا النقد الجديد للأدب النسائي، وفي بلورة مجموعة من الإستراتيجيات النقدية التي تمكّن الناقد من الكشف عن تيارات المعنى التحتية الرمزية السارية في نصوص المرأة الأدبية وفكّ الشفرات للغتها الإشارية المعقّدة» (٤).

ومن النظرات والآراء المؤيِّدة لهذا النوع من الأدب والنقد حيث ترفع من قيمة الأدب الجينثوي وتعطيه الحق بالنشاط في هذا المجال، ما ذهبت إليه الناقدة "سوسن ناجي"، حيث تعتقد أنّ مشكلة الكتابة النسوية هي نقدية بالدرجة الأولى، ولعل السر في هذه الظاهرة يرجع إلى أنّ النقاد والدارسين الذين ينظرون إلى كتابات المرأة كفنٍ لم ينضج بعد، ولم يتبلور في أدبنا بحيث يبدو من الصعوبة دراسة تطوره؛ وتضيف الناقدة، أنّ خصوصية الأدب النسوي، تتحقق إذا ما تحرّرت من تقليد الأدياء الرجال، بمعنى أن أدب المرأة يحقق جودته من صدقه الفني، وصدقه الفني ينشأ من درجة تحرره من تقليد طليعة الأدياء الرجال.

ويذهب الناقد "محمد برادة"، إلى أنّ خصوصية الكتابة النسوية، نابعة ممّا عاشته المرأة من تهيمش، لذا فإنّ المرأة التي «فرض عليها، لآماد طويلة، أن تعيش مهمّشة خاضعة للحيف والدونية والإستغلال غير المشروع، تمتلك تجربة شعورية واجتماعية مغايرة للرجل» (٥).

«بمجرد طرح مصطلح "الأدب النسوي" فإنّه -آليا- يشير إلى آخر رجالي الذي يشير بدوره إلى وجود خصوصية وإختلاف في طرائق التفكير، وبالتالي في الكتابة والطرح، ومن ثمة تعددت الآراء وتضاربت بخصوص هذا الأدب، بين مؤيد جعل الإختلاف والمغامرة ضرورة إبداعية قد تكسب مشروعية وهويّة هذا الأدب وبإزالته تلك الفوارق يفقد هذا الأدب هويته وكيانه، ومعارض جرد الأدب النسوي أو أدب المرأة مشروعيتها وأحقّيتها في الكتابة والإبداع» (٦).

سيمائية العنوان والغلاف

إنّ المنهج السيميائي يشدّ نطاقاته الواسعة وتحكّمه على كافة العلوم، منذ نشأته حتى الآن مازال يتوسّع بتقاناته المختلفة إذ يقوم بفكّ الرموز وتفسير الدلالات والإيحاءات القائمة على الكلمات فضلاً عن دوره الخاص الذي يقوم بالتعمّق في باطن القضايا الأدبية لفهم المعاني المتوارية والتنقيب عن الكلمات الرمزية.

ولهذا في ساحة الأدب وبالأخص الدراسات الأدبية والنقدية قد حظى على جانب كبير من الأهمية. أما في بحثنا هذا نتطرق إلى سيميائية العنوان الذي يكون فرعاً من السيميائية وفي الوقت نفسه يكون جزءاً من السيموطيقا أي علم العنوان حيث يتجلى في هذا العلم التشارك الدلالي بين العنوان وبقية النص.

الشاعرة هبة يونس جاءت في عنوانها المسمى بـ"أرجوحة الوجد" بطرق غامضة للتعبير عن الألم حيث تتجلى في العنوان الظاهرة الجينثوية ويبدو لنا أنّ ثمة رابطة قويّة بين الألم الذي تعبّر عنه الشاعرة إثر الضغوطات وبين الأشعار التي تتظّمها كونها أنثى، لأنّ العبارات التي تستخدمها الأنثى للتعبير عن الألم





تجليات الألم في ديوان "أرجوحة الوجد" لـ هبة يونس من منظر النقد الجيوشي

أكثر قوةً ورسانةً بالنسبة لباقي المضامين الشعرية. الأنتى بطبيعتها أكثر غموضاً في الآلام ولهذا ينعكس هذا الغموض في كلامها كشاعرة، فقد احتوى ديوان "أرجوحة الوجد" على العديد من الدلالات والإيحاءات الأنتوية المغلفة بالغموض.

١- بنيوية العنوان

قبل أن نتطرق إلى المستوي الدلالي والإيحائي للعنوان نبدأ بالجانب البنيوي واللغوي. ما عُرف عن اللغة والدلالات والإيحاءات أنّ «اللغة لا تُفهم خارج المجتمع، وتتبع تطور دلالات هذه العلامات» (٧). يتركب عنوان "أرجوحة الوجد" من وحدتين معجميتين: أرجوحة + وجد. من الجانب النحوي والتركيبى يُعدّ هذا العنوان من الجمل الإسمية. تتشكّل هذه الجملة الإسمية من مسند إليه محذوف (هي) كمبتدأ والمسند "أرجوحة" وهي خبر، والمضاف إليه "وجد" ولأنه دخل في الجملة الإسمية يبدو لنا وكأنّه أشدّ تأثراً في النفس؛ «مما يفصح لنا مدى عقلانية اللغة المستعملة، ومجيء العنوان بصيغة إسمية ينمّ عن الحسم والتقرر النهائي والإقناع بجدوى صدوره على هذه الهيئة» (٨).

٢- دلالات وإيحاءات العنوان

إنّ عنوان "أرجوحة الوجد" من العناوين الإغرائية التي تثير القارئ وتشدّ إنتباهه لقراءة الديوان بأكمله. إنّ هذا العنوان يجسّد لنا صورة بصرية تربط بينه وبين النص والديوان بأكمله ولهذا عند قراءتنا لهذا الديوان نجد أن عدداً هائلاً من النصوص تدل على الألم وقد أتت بصورة متوالية إذ نرى كل ألم وكل حدث يتبعه ألم وحدث آخر بصورة متسلسلة. تتحكّم على الديوان ميزات أنتوية بمجرد قراءتنا إيّاها تظهر لنا الميزات الأنتوية التي تتجلى في وسط الأبيات المتشابكة المرتبطة.

٣- الصورة البصرية للغلاف

من خلال دراستنا للصورة البصرية على الغلاف، تتكشف لنا دلالات وإيحاءات من حيث اللون والشكل، ونلاحظ أنّ النص المتواجد خلف الغلاف يرتبط بالصورة الموجودة في بداية الغلاف ارتباطاً وثيقاً. نرى الغلاف مملوء بألوان غامقة؛ فالأسود الدال على الألم والكتابة هو أول لون يشدّ إنتباهنا حيث يظهر لنا بصورة غيوم مظلمة كما يدلّ على الآلام المحاطة بكافة أشعار الديوان، أمّا اللون الأبيض في وسط السماء المائل إلى الزرقة يدلّ على الأمل الذي يكاد يضمحل بواسطة اللون الأسود، والطفلة الموجودة أسفل الغلاف قد تكون رمزاً للأنتوية والبراءة واللطافة وربما قد تدل على الشاعرة نفسها وفقاً للأبيات الموجدة خلف الغلاف. يتّضح لنا أنّ إختيار اللون الوردي للفتان دال على الروح الطريفة للأنتى وفي الوقت ذاته يدلّ على إشمال الديوان على طوابع أنتوية كبيرة.

وأما ما يلفت النظر تلك الأجنحة التي ترفرف في وسط الصورة فتبدو وكأنّها أرجوحة تروح وترجع دون توقف ككلمات الوجد والآلام المذكورة في الديوان وأنّ الكتابة باللون الأصفر على تلك الأجنحة قد يدلّ على الألم والأوجاع والأحزان. الجدير بالإشارة أنّ ثمة علاقة كبيرة ورابط غامض بين صورة الفتاة والأرجوحة كونها

الدلالات الزمكانية (البيئة الأنثوية)

إنّ الزمان والمكان ثنائيان قد ترابطا ببعضهما البعض بصورة كبيرة؛ المكان يمثل الصور الجمالية التي تقع فيها الأحداث والزمان يبيّن لنا وقوع الأحداث، بدايتها واستمرارها وانتهائها. إنّ الزمان يتبع المكان أينما كان وبالعكس يشابه المثل بالمثل. الدلالات الزمكانية تتبيّن لنا من خلال التأمّلات والتحليل والملاحظات التي نقوم بها على التعابير والأبيات المتاحة لنا ولسبب تواجد المرأة لفترة زمنية طويلة في بعض الأماكن كبيئة البيت أو الحديقة يجعلها تخضع لوصف عنصر المكان الخاص بها. تقول الشاعرة هبة يونس:

«تعلقت بقوالب السور حولي/ فإتسخ الرداء من ملاصقة أحجار/ وصلت للأعلى/ وتطلعت للطريق خلفه/ أخدم المارة حواسي/ فتطلع الشعور/ سقطت على أرضية حديقتي/ فلفظتني رئة الزرع (٩)

كما نلاحظ في هذه المقطوعة ظواهر أنثوية تتجلى بصور مشحونة بالآلام في هذا المكان أي الحديقة التي تميل إلى وصفها الأنثي دائماً لتواجدها المستمر فيها ويتراءى لنا في هذا الوصف من خلال الألفاظ المستعملة في النص أنّ السور يدلّ على المانع الذي يمنح هبة الشاعرة من إجتياز هذه الآلام وكأنّ الأوجاع تحيط بها، فهي بمجرد وصولها للأعلى تحدّق في العابرين فتتسى ما هي عليه من وجع بقولها (أخدم المارة حواسي) ولا تتمالك نفسها فتراجع إلى آلامها بل وتزيد عليها الأحزان وكما نرى أنّ المكان يتعلّق بزمان ماضٍ بسلسلة من الأفعال المتوالية ممّا يدلّ على أنّ كل حدث يتبعه حدث آخر وهذه الدلالات تشير إلى تأرجحات الشاعرة في الآلام بإستخدام هذه الأفعال «تعلقت»، «وصلت»، «تطلعت»، «أخدم»، «تعطل»، «سقطت»، «لفظتني» و... نرى أنّ كل فعل عامل وسبب في الفعل الثاني وفي النهاية يضيق عليها المكان وتصبح لها الطبيعة وحشية ويصبح حالها أسوأ. ومن قولها في المقطع التالي:

«كوة في الحائط/ سمحت بعبور كائنات النور الأحمد/ وأنا أجاهد لإلتقاط كل أمتعة الضوء الزائر» (١٠).

إنّ بيئة المنزل من الصور الجمالية الشعرية البارزة التي تميّز الأدب الأنثوي عن الذكوري فهذه الصور تنعكس في أشعار كافة الشواعر. في هذه المقطوعة الشعرية الشاعرة تتحكّم بشكل كامل على الآلام لتبدها حتى أنّها لم تلمح لأي كلمة دالة على الأمل، أمّا من الناحية الوصفية للمكان تركّز على الجانب الإيجابي فتحاول أن تخطف الضوء الذي يدلّ على الأمل وإنهاء الأوجاع والآلام.

الثقّب التي تتراءى لها بأنّ الأمل يحاول أن يحيط بها وكأنّ هذه الكوة تدلّ على الأمل، فتظنه يشعّ عليها بنوره في حياتها وتريد أن تتشابك مع هذا الضوء من كل جوانبه لعله يكون حلاً لها للتخلص من هذه الأوجاع المسيطرة عليها. أمّا من الجانب الوصفي للمكان فالكائنات الصغيرة التي تتقلّب مع الضوء والهواء قد تشير إلى هذه الظاهرة التي تتشكّل عند إنبعاث الضوء من الثقوب الضيقة بكل ظرافة وهي تدلّ على دخول الأمل من هذه الكوة في الحائط.

إنّ الشاعرة تجمع بين الماضي والحاضر بقولها (سمحت) فهذا الفعل يدلّ على أنّه حدث إنقضى ولا داعي





تجليات الألم في ديوان "أرجوحة الوجد" لـ هبة يونس من منظر النقد الجيوشي

لإستمراره ولكنّ الفعل الثاني (أجاهد) يدل على إستمرار المحاولة لتبديد الأوجاع والآلام. «الذكرى كرة حديدية/ ذاتية التضخيم/ تجيد سحق/ فواصل الصراخ» (١١).

تشير الشاعرة في هذا النص إلى الزمن البعيد الماضي بقولها (الذكرى كرة حديدية) وكأنّ ماضي الشاعرة صارت كرة حديدية مدوّرة تحاصره الأحداث في الماضي دون أيّ تغيير فيه ولرحيل الماضي وأنّ لاجدوى من إستعادته إلّا عن طريق الذكرى وإسترجاعه في الذهن؛ وقد شبهته بكرة حديدية صلبة وكأنّه قد يبس وصار جامداً صلباً و«إنّ كل عودة في الماضي تشكّل إستذكّاراً يقوم به لماضيه الخاص» (١٢). ليس بإمكان الشاعرة أن تغيّر في أحداث هذا الماضي سوى أن تتذكّره.

دلالات الألوان الحزينة

لقد حظيت الألوان بمكانة كبيرة جداً للتعبير عن المشاعر والأحاسيس. لاشك أنّ هذه الألوان تلعب دوراً هاماً في حياتنا لكثرة إستعمالها في المناسبات التي تلائمها، إذ كل لون يُستخدَم في مناسبة خاصّة وبيعت حالة نفسية في ذاتنا وفقاً للمواقف التي نعيشها. للألوان دلالات أساسية متفق عليها ولكن قد تُستخدَم بعضها في غير موضعها. وأحياناً نرى أنّ لبعض الألوان تأثيراً فيزيولوجيكياً على حياة الإنسان بشكل كبير؛ فهذه الألوان لقد ألهمت الشعراء طعم الهدوء النفسي من خلال إستعمالهم لها في شعرهم، ولمخيلة الأنثى وأحلامها ألوان خاصة تنبعث من مخيلتها وتُسكَب في قوالب أدبية.

تكون المرأة أكثر ميّلاً لهذه الجماليات الفنية، فقد «مارس اللون سحره في عالم المرأة الخاص، بوصفه مريا للأحاسيس التي تشعر بها» (١٣). أمّا في اللوحات الشعرية فقد تتجلى بعض الألوان المشحونة بطابع الألم والوجد. جاء في ديوان "أرجوحة الوجد":

«أفرد خصلاتي على كتف الرمل / وأستجدي من الشمس قطعة ضوء / يمنحني البحر بعضاً من سعة الإستنشاق» (١٤)

إنّ الشاعرة تستهل لوحاتها الشعرية بطابع من الألوان التي تدلّ على الأمل والهدوء فقد وظّفت اللون الأبيض دون التصريح باللون نفسه بإستعمال كلمة الضوء. واللون الأبيض يرمز إلى الأمل الذي تطلبه الشمس وهي في حالها تتابع توظيف الألوان بدلالة ثابتة حيث تأتي باللون الأزرق الذي يمنحها الراحة ويدلّ على الهدوء بقولها (أدفن) لنسيان الآلام والأوجاع بإيحاءات إيجابية.

«وأنا/ إعتدّت أن أرسّم وجوها تبتم.. / بماصة العصير للحياة/ ليجيء الموج ويمسحها.. / فصارت لي قناعات أن البحر ولد ليبتلع/ سعاداتي الرملية/ قطرة قطرة» (١٥).

هنا تشير إلى زوال الفرحة بعد السعادة، تلك السعادة التي إختطفها البحر، فتختار اللون الأزرق بدلالة غير ثابتة ومتغيّرة لأنّ اللون الأزرق يرمز إلى الهدوء النفسي والسكينة بعدما ذكرت أنّ البحر وُلِد ليخطف سعاداتها على الرمال الموجودة على شاطئ البحر وكأنّه قد تحوّل لولد يخطف سعاداتها بدلالة سلبية؛ كما نلاحظ أنّ من بداية النص، تأتي الشاعرة بمفارقة في التعبير فتعبّر عن سعاداتها في بداية الأمر بقولها أنّها



تجليات الألم في ديوان "أرجوحة الوجد" لهبة بونس من منظر النقد الجيوشي

ترسم وجوها تبتسم ولكن بعد هذا الفعل (تبتسم) جاءت بنقطتين للدلالة على صمت متبعثر في قاع روح حزينة وكئيبة وهي تقول (اعتدت أن أرسم وجوهاً تبتسم..). ولكن هذه السعادة قد زالت بمجىء البحر الأزرق اللون بدلالته المتغيرة وذلك قولها (ليجيء الموح ويمسحها).

وجاء في نص آخر يلمح إلى ألوان حزينة وكئيبة:

«سقطت على أرضية حديقتي/ فلفظتني رئة الزرع/ وانتصب الشوك/ بقيت/ على أرض الممر ترابي الوجد/ بين السور وحديقتي/ لا أقرب أيهم» (١٦).

قد استعملت الشاعرة اللون الأخضر بدلالة غير ثابتة. ويتضح لنا أنّ هذا اللون الأخضر يميل إلى السواد ومن الألوان ذات الموجات العالية كما توصل "ماغنوس" إلى هذه النتائج وهذا ما نريد الوصول إليه: «أ- أنّ الفاظ الألوان الطويلة الموجة تكون عادة أكثر دقة من قصيرتها.

ب- أن أسبق الألفاظ ظهوراً: الأحمر يليه الأصفر، فالأخضر، وأخيراً الأزرق» (١٧) وفي نفس الوقت يدل هذا اللون على الكآبة ووحشية الطبيعة حيث تأتي بأفعال متوالية (سقطت)، و(لفظتني) و(انتصب) ممّا يبيّن لنا أنّ هذا التعبير بإقترانه مع اللون الأخضر يرمز إلى الطبيعة الوحشية التي تسلب الأمن والأمان فهي تأتي باللون الأخضر في ثلاث كلمات منها: الحديقة رئة، والزرع، والشوك؛ بينما سبقت هذه الكلمات، كلمات سلبية مثل (سقطت) قبل الحديقة و(لفظتني) قبل رئة الزرع و(انتصب) قبل الشوك، وتوالي مجيء الكلمات السلبية في سلسلة من الأفعال تهَيّئ لنا أنّ اللون الأخضر قد استعمل بدلالة غير ثابتة ممّا يدلّ على الحزن المدفون. بعدما حضرت الشاعرة اللون الأخضر بدلالة حزينة وكئيبة في أذهاننا إنتقلت من النظرة السلبية للون الأخضر إلى نظرة إيجابية كقولها:

«حبيبي على جانبي طريقنا أشجار الله/ قد ألفت بأوراقها الوليدة/ حتى تمتص عنا جبروت الشمس/ وقت الخطوة/ وغيطان القمح ترصّع أفقنا/ كلهم لنرتقي درجات الفرحة.. معاً» (١٨).

هنا اللون الأخضر يصوّر لنا مدى إحساس الشاعرة بالأمن والراحة النفسية إذ يزيل عنهم سطوة جبروت الشمس وهو في دلالاته الثابتة بصورة صريحة، وقد أثبتت التعابير التي جاءت بعد اللون الأخضر (غيطان القمح ترصّع أفقنا) و(كلهم لنرتقي درجات الفرحة) أنّ هذا اللون يرمز إلى الفرح والسرور «ويرتبط بإحساس المرأة وطبيعتها الأنثوية» (١٩). بعد نهاية العذاب والآلام المتوالية، غضت هذه الشاعرة النظر عن الدلالة الإيجابية للون الأصفر ووضعت في غير دلالاته المعهودة، حيث دلّ على الغضب والوحشية؛ وكما نلاحظ أنّ هذا النص يوحى إلينا التعلّق بشخصين وهما الشاعرة وحبيبها أي الجنس الذكوري، وهذا الأمر يفنّد المناقشات الخاطئة التي أجراها بعض النقاد الذين يعتقدون أنّ المرأة تسعى لتهميش الجنس الذكوري في نتائجها.

تجليات الألم في ديوان "أرجوحة الوجد" لهبة يونس من منظر النقد الجيوشي

اللون	التعبير	الدلالة	الثابتة / المتغيرة
الأزرق	يمنحني البحر بعضاً من سعة الإستشاق	يرمز إلى الراحة والهدوء النفسي	ثابتة
الأزرق	ليجيء الموح ويمسحها..	يرمز إلى الغضب والسلبيات	متغيرة
الأخضر	لفظتني رئة الزرع	يرمز إلى الوحشية والوجد	متغيرة
الأخضر	حبيبي على جانبي طريقنا أشجار الله	يرمز إلي الفرح والحيوية	ثابتة
الأصفر	جبروت الشمس	يرمز إلى العذاب والغضب (سلبى) حتى أن الشمس قد ترمز إلى أنها مصدر آلامها	ثابتة (وكذلك في النظرة الإيجابية ثابتة)

بناءً على الملاحظات السابقة والنصوص المذكورة أنّ ثمة مفارقات بين دلالات الألوان، فاللون الأزرق تارة يرمز إلى الهدوء وتارة يدلّ على نظرة سلبية، وكذلك اللون الأخضر تُوجد فيه مفارقات سلبية وإيجابية.

دلالات البكاء (الأنثوي)

يُعدّ البكاء من اللغات الصامتة ذات العلامات السيمائية التي بإمكانها أن تدخل في موضوعات عديدة وذات صور بصرية إشارية. البكاء «في أبسط معانيه نزول الدموع من العين وقد تصاحبه أصوات تسمى الولولة والنواح، وهو علامة من العلامات الألم والحنن» (٢٠).

للبياء أسباب وعوامل كثيرة وقد يكون دلالة على تفجير الآلام والأحزان المتركمة والمكبوتة، وقد يكون البكاء عند الأنثى أكثر أهمية فهو ظاهرة لا يبدّ من دراستها خاصّة في الأدب الأنثوي لتواجهه بكثرة عند النساء. إنّ البكاء من الدوافع التي تثير الشعراء لنظم الأشعار الحزينة ولإبراز المشاعر المكبوتة للتخفيف عن وطأة الآلام التي في حالة إنفجار وغليان. الجدير بالذكر أنّ الشاعرة هبة يونس قد خصّصت في ديوانها نصوصاً ترتكز على البكاء ولا يبدّ لنا أن نعد البكاء من الميزات المختصة بالأنثى وفقاً للنصوص التالية:

«أبكي/ جزأت أسناني تكتم طفحات كياني/ بدم/ إعتراضي الألم/ أفتح فمي وأشهق/ لعل الهواء يعرقل قفزات صراخ متسلل/ دفقة هواء زافرة/ لألم أعجز عن دحضه ولا أملك إلا التوجّع من سدوده لمسامات الروح/ لا أملك/ إلا محاولة التعبير» (٢١).

هنا ذكرت الشاعرة آلامها المكبوتة بعد اجتياز المراحل العديدة من الآلام، فهي تعبّر عن الغصص الممضّة التي أدت إلى البكاء بقولها (بدم)، وهذا يعني أنّ الشاعرة قد واجهت جبلاً كبيراً من الآلام إذ جاءت بكلمة (دم)، فتوكّد لنا أنّ دليل البكاء هو الألم، وأنّ هذا البكاء هو نوع من البكاء الأنثوي الذي يؤدي إلى تفرغ الآلام بالقوى التنفسية الشديدة والصراخ الملازم مع البكاء، كما يتبيّن لنا أنّ البكاء والصراخ في هذا الديوان





تجليات الألم في ديوان "أرجوحة الوجد" لهبة يونس من منظر النقد الجيوشي

هو آخر إنفعال تقوم به للتوجع والآلام بقولها: (لا أملك/ إلا محاولة التعبير) وأنها تبقى مستمرة بهذه المحاولات التعبيرية لتنتشر هذه الأوجاع المتركمة وتخفف عن تلك الروح المزدهمة بالآلام التي تسدّ مواضع السعادة بتعبيرها (لا أملك إلا التوجع من سدوده لمسامات الروح).

«أبكي من لهفتي/ لدفاء من قطيفة عطفك/ بركن سترتك العريضة/ لتحوصلي داخلك/ إختبائي من بؤسي/ وأنّ تعنصر كفك رأسي غريقته التذكر/ تتلقى منابع الألم على صدرك/ فتحف ورأسي كصبار وليد لقطرات حنانك» (٢٢).

من الآلام التي تحيط بذات الشاعرة هي إتكائها على ذلك العطف والحنان الذي قد يكون لها مصدر قوّة حيث أنّها تستند على عطف حبيبها وحنانه؛ وقد يتبين لنا أنّ البعد عن هذا الحبيب هو من الدوافع والأسباب التي تؤدّي إلى الآلام، وإتّها بسبب هذا الحبيب تخرج من الدوائر المحاطة بالأحزان، تلك الدوائر التي تحاصرها فتعبر عنها بقولها (إختبائي من بؤسي) و(تتلقى منابع الألم على صدرك) وهذا ما يلفت إنتباهنا أثناء قراءة النصوص فالشاعرة تستند في خطابها إلى الجنس الذكوري وهي لا تريد الإنعزال عنه في نصّها الشعري.

نتائج البحث

- إقبال المرأة على الكتابة الأدبية والفنية لا يشكك في أنوئتها بل يساعدها في إظهار مهاراتها في ميادين الأدب والنقد والإحتفاظ على ميزاتها الأنثوية، ودخولها في عالم الكتابة الأدبية لا يقلل من قيمتها ومكانتها الإجتماعية كما يظن البعض بل يفتح أمام القراء بؤابة واسعة للتعرف على شخصية المرأة وما تمرّ به من حالات نفسية كما أنّها عن طريق هذه الكتابة الأدبية في بعض الأحيان تقوم بالدفاع عن حقوقها.

- تتجلى الآلام في كافة أشعار ديوان "أرجوحة الوجد" بميزات أنثوية، تأتي بهذه الميزات في أشعارها بصورة فطرية لكونها أنثى.

- إنّ المنافسة التي بدأت بين المرأة والرجل في ساحة الأدب لا تعني أنّ المرأة قد تتخلى في مضامينها الشعرية عن الرجل بل يكون الرجل هو المحور الأساسي الذي يدور حوله خطاب المرأة وتبين شخصية الرجل كما ينطبق هذا على ديوان الشاعر هبة يونس بطابع من الألم.

- إنّ تأثيرات التعبير والبوح عن الألم بأساليب مختلفة في هذا الديوان قد أدّى إلى تخفيف حدة الآلام لدى الشاعرة.

- الشاعرة تثور بكمية كبيرة من الآلام بأساليب أنثوية لتشعر بالهدوء النفسي إثر هذا البوح وكما يبدو أنّ بعض التعبيرات لاجدوى منها للتخفيف عن الألم وقد تسيء بحالها.

- بعض النقاد بنظراتهم ونقاشاتهم الجدلية التي أثاروها حول الأدب النسوي حاولوا تهميش وتضعيف هذا الأدب غافلين عن أنّ نقاشاتهم لهذه القضايا أدّت إلى إهتمام شريحة أخرى من النقاد بهذا الأدب والدفاع عنه وبالنهاية تثبيته وتحكمه وتطوره.

- تتجلى ميزات ومظاهر الأنوثة في ديوان هبة يونس بطابع من الآلام والميزات التي ذكرناها وتشتمل الألوان

تجليات الألم في ديوان "أرجوحة الوجع" لهبة يونس من منظار النقد الجيوشي

والدلالات الزمكانية والبكاء الأنثوي.

- إن مفردة الألم والوجع تبدو لامعة ومشعة تقتحم الديوان بأكمله.

الهوامش:

- ١- ينظر: الموقع <http://www.goodreads.com>
- ٢- دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازغي: ٣٣
- ٣- نفسه: ٣٣١
- ٤- أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، صبري حافظ: ٢٤٩
- ٥- النقد النسوي العربي بين النظرية والتطبيق "النص المؤنث" لزهرة الجلاصي أنموذجاً، الحادة عطاوة: ٤١
- ٦- جماليات التعبير في الشعر النسوي الجزائري «نادية نواصر» أنموذجاً، شفيقة طلحي: ١٠٩
- ٧- فايدى النظرية السيميائية وتجلياتها في النقد العربي الحديث، تجربة عبدالله محمد الغزالي والنقدية أنموذجاً، عقيلة سرير وفاطمة الزهراء: ٢٨
- ٨- سيميائية العنوان في روايات محمد فلاح (قصص الحوادث وشعلة المائدة أنموذجاً)، ليندة جنادي وهبة مفتاحي: ٦٥
- ٩- أرجوحة الوجع، هبة يونس: ١٢
- ١٠- نفسه: ٧٥
- ١١- نفسه: ١١
- ١٢- «البنية الزمنية بين الإسترجاع والإستباق في رواية "العقرب" لحسين مرتضائان أبكنار، رسول بلاوي وحسين طرفي عليوي: ٢٩٢
- ١٣- «دلالة اللون في شعر النسوي العراقي المعاصر»، فرح غانم حميد البيرماني: ٤٨٤
- ١٤- أرجوحة الوجع، هبة يونس: ١٩
- ١٥- نفسه: ٥٥
- ١٦- نفسه: ١٢
- ١٧- اللغة واللون، أحمد مختار عمر: ٢٤
- ١٨- أرجوحة الوجع: ٧٦
- ١٩- «دلالة اللون في شعر النسوي العراقي المعاصر»: ٤٨٤
- ٢٠- «دلالات البكاء وموضوعاته في شعر الأموي»، بدران عبدالحسين البياتي: ٤ و٥
- ٢١- أرجوحة الوجع: ٣٧
- ٢٢- نفسه: ٦٨



المصادر والمراجع

- أرجوحة الوجع، هبة يونس، دار أكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- أفق الخطاب النقدي/ دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، صبري حافظ، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩٦م.
- «البنية الزمنية بين الإسترجاع والإستباق في رواية "العقرب" لحسين مرتضائيان أبكنار»، رسول بلاوي وحسين طرفي عليوي، مجلة آداب الكوفة، العدد ٢٠١٧، ٣٠، ٢٨٥-٣٠٦.
- جماليات التعبير في الشعر النسوي الجزائري «نادية نواصر» أنموذجاً، شفيقة طلحي، جامعة السكيكدة، رسالة ماجستير، ٢٠١٥م.
- «دلالات البكاء وموضوعاته في شعر الأموي»، بدران عبدالحسين البياتي، جامعة كركوك، مجلة كلية الآداب، العدد ٩٨، صص ١-٤٠.
- «دلالة اللون في شعر النسوي العراقي المعاصر»، فرح غانم حميد البيرماني، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، العدد ٢٠٣، ٢٠١٢م، ٤٨١-٤٩٨.
- دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازغي، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠١٢م.
- سيميائية العنوان في روايات محمد فلاح (قصص الحوادث وشعلة المائدة أنموذجاً)، ليندة وهبة مفتاحي جنادي، جامعة الجبلاني بونعامة خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، رسالة ماجستير، ٢٠١٤م.
- اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- النظرية السيميائية وتجلياتها في النقد العربي الحديث، تجربة عبدالله محمد الغزالي والنقدية أنموذجاً، عقيلة سرير وفاطمة الزهراء فايدي، جامعة الجبلاني بونعامة خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، رسالة ماجستير، ٢٠١٤م.
- النقد النسوي العربي بين النظرية والتطبيق "النص المؤنث" لزهرة الجلاصي أنموذجاً، الحادة عطاوة، جامعة محمد بوضياف - المسيلة، رسالة ماجستير، ٢٠١٥م.
- هبة يونس النيل، على الرابط التالي:

<http://www.goodreads.com/author/show/4489986>

